KUR'AN-I KERİM'İN ARAP DİLİNDEKİ YERİ

Tahirhan AYDIN (*)
Yaşar DAŞKIRAN (**)

Özet

İndirildiği günden buyana Kur'ân, Araplar ve ilim erbabı tarafından fesahati ve belagati açısından benzeri olmayan bir eser olarak kabul edilmiştir. Bu suretle Kur'an-ı Kerim, Arapça dilbilgisinin ve diğer İslami ilimlerin temel kaynağı olmuştur. Nahiv çalışmalarının yapıldığı ilk günden günümüze kadar dil âlimleri kuralların tespitinde ve teyidinde Kur'an'ı temel kaynakların başında kabul etmişlerdir. Bununla birlikte Kur'an'da nahiv kurallarına uymayan hususların varlığı üzerine tartışmalar da varlığını koruyagelmiştir. Bu çalışmada Kahire Üniversitesi Daru'l-Ulum Fakültesi Öğretim Üyesi ve Arap Dilcisi Şaban Salah İbrahim'in Kur'an-Nahiv ilişkisi ve Kur'an'da gramer hataları tartışmaları hakkındaki görüşlerine de yer verildi.

Anahtar kelimeler: *Kur'an, Nahiv, Kur'an'da gramer hataları*

The position of Quran from Arabic Language

Abstract

Ever since it was revealed, Quran has been regarded as a unique book by Arabs and scholars in terms of its fasahat/elequence and balaghat/fluency. Therefore Quran has become the main source of Arabic grammar and other Islamic sciences. Linguists have accepted Qur'an as the major source in determination and affirmation of the rules since the early times of Nahiv studies. However there have been debates about some points in Quran incompatible with grammatical rules so far. In this article we examined Şaban Salah İbrahim's view of the relationship between Qur'an and Nahiv and Grammatical Faults in Qur'an.

Keywords: *Quran, Nahiv, Grammatical Faults in Quran*

*) Yrd. Doç. Dr., Mardin Artuklu Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Doğu Dilleri ve Edebiyatları Bölümü Arap Dili ve Edebiyatı Anabilim Dalı Öğretim Üyesi
(e-posta: tahirhan@hotmail.com)

**) Öğr. Gör. Dr., Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Temel İslam Bilimleri Bölümü Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı
(e-posta: ydaskiran@hotmail.com)

موقع القرآن الكريم من اللغة العربية

مقدمة:

اللغة العربية هي لغة سامية، مثل السريانية،والآرامية،و العبرية،والأكادية، و هي لغة العرب، سكان شبه الجزيرة العربية ما بين الخليج العربي و البحر الأحمر. تحتوي العربية على ثمانية وعشرين حرفا مكتوبة وتكتب من اليمين إلى اليسار، ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها، وتعتبر من أكثر لغات العالم استعمالا، والعربية لغة رسمية للكثير من دول العالم العربي من ضمنها مصر، الجزائر، العراق، الأردن، لبنان، السعودية، سورية، الكويت..... وفي منتصف القرن العشرين لعبت عدد من الدول العربية دورا هاما في العلاقات الدولية ونتيجة لذلك أصبحت العربية لغة رئيسة في قطاع الأعمال والسياسة. واعتمدت العربية لإحدى لغات منظمة الأمم المتحدة الرسمية.

والعربية اسم مشتق من الإعراب عن الشيء، أي الإفصاح عنه، وهكذا تعني من حيث الاشتقاق لغة الفصاحة. والعربية هي لغة القرآن. وأيضا تسمى لغة الضاد ؛لأنها اللغة الوحيدة في لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد.

ونذكر هنا أقوال بعض الغربيين:

يقول الفرنسي إرنست رينان:"اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة"

ويقول الألماني فريتاغ: "اللغة العربية أغنى لغات العالم".

ويبلغ من ولع البيروني بحب العربية المبلغ الذي يجعله يقول: (والله لأن أهجى بالعربية أحب إليَّ من أن أمدح بالفارسية) وغيرهم كثير.

ولا ينكرأحد فضل القرآن الكريم على اللغة العربية و حفظها وانتشارها و لا يختلف أحد على أن اللغة العربية يكمن فيها الجمال و لها سحر عجيب وأسرار أعجب،كما أن لهذه اللغة التى حروفها بضع وعشرون حرفا العجب العجاب عندما تقرأ كتاب الله فيبهرك الجمال و دقة البلاغة و سحر الكلمات.

العلاقة بين اللغة العربية وسبب نزول القرآن الكريم.

ويثار حول القرآن الكريم شبهات هي:

إذا كان القرآن كتاباً لكل البشرية، فلماذا أنزله الله باللغة العربية،

ولم ينزله بلغة أخرى غيرها؟ و في الجواب نقول:

من الواضح أن نزول القرآن كغيره من الكتب السماوية كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس عصر نزول القرآن،واللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات.ومن الواضح أيضاً أنه على أي لغة أخرى غير العربية كان سيقع الاختيار فإن هذه الشبهة كان يمكن طرحها، وحينها سيطرح نفس السؤال، لماذا نزل القرآن بهذه اللغة؟!

قال الله – عَزَّ وجَلَّ –:

"وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفَاء وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ" (فصلت — 44)

ومن جهة أخرى، فإن أي كتاب سماوي ينبغي أن ينزل بلغة الرسول الذي ينزل عليه ذلك الكتاب، ليتمكن من التعامل معه بصورة طبيعية، ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي اختيار اللغة العربية دون غيرها من اللغات، حيث إنها اللغة التي كان يتحدث بها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم–،كما أن أي رسول لا بُدَّ وأن

يتحدث بلسان القوم المرسَل إليهم، أو المبعوث فيهم، و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر حيث قال: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (إبراهيم – 4)

فكان من الطبيعي أن يتم نزول القرآن باللغة العربية التي هي لغة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، و لغة قومه الذين يعيش فيهم، لكن اختيار لغة قوم الرسول لا يدل على انحصار الدعوة فيمن يتكلم بتلك اللغة، خاصة وأن الأدلة القاطعة تثبت خلاف ذلك.

هذا إضافة إلى أننا لا نشك في أن نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات لم يكن عفوياً، بل كان لأسباب دقيقة، و هو بكل تأكيد اختيار حكيم لأنه من قِبَلِ رب العالمين، ونحن نؤمن بوجود الحكمة في هذا الاختيار سواءً تبيَّنت لنا أسبابه أم لم تتبين.

أضف إلى ذلك أن خصائص اللغة العربية وقابليتها للحيوية ومرونة تعبيراتها وسعتها وما لها من ميزات من حيث الاشتقاق الصرفي، والإيجاز، والخصائص الصوتية، وإمكانية تعريب الألفاظ الواردة، تجعل اختيارها لغة للقرآن الكريم هو الخيار الصحيح ؛ لذلك فكل هذه الأمور ترجح و تدعم اختيار اللغة العربية لأن تكون لغة للقرآن الكريم.

هل أخطأ القرآن في النحو؟

ومن الشبهات التي يسوقها غير المسلمين، شبهة أن القرآن الكريم أخطأ في قواعد اللغة العربية أو خالفها! وهذه الشبهة تدل على جهل عميق بالقرآن الكريم وبنشأة علم النحو وطرق وضع قواعده.

وعندما رد بعض العلماء رداً مقتضباً قائلين: إن القرآن هو الذي يحكم علم

النحو، وليس العكس استنكر بعض من مروجي الشبهات هذا الرد، معتقدين أن هذا الرد المختصر هو تهرب أو اعتراف بوجود أخطاء نحوية زعموا وجودها في القرآن الكريم. والرد السابق صحيح مع اختصاره ولكنه يحتاج بعض التفصيل كما يلي:

نشأة علم النحو(ابن خلدون، 1858: 1/ 152 .153):

تكلم العرب في الجزيرة العربية اللغة العربية حسب قواعد غير مدونة، منها على سبيل المثال رفع الفاعل ونصب المفعول به، وإن كانت هناك بعض الاختلافات بين القبائل العربية في أمور فرعية من قواعد اللغة،إلا أن أغلب قواعد اللغة كانوا متفقين عليها.

وكانت قريش هي أبلغ العرب وكانت لهجتها (لغتها) أكثر اللغات فهماً وانتشاراً في الجزيرة العربية وذلك ؛لأنها كانت مركزاً للتجارة تقصده القوافل، بالإضافة لكونها مركزاً دينياً لقاطني الجزيرة العربية.

تم البدء في وضع قواعد النحو على يد أبي الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان. من كبار التابعين– الوفاة: 69 هـ) ، وذلك بتكليف من علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقت خلافته، أي أنه تم وضع قواعد النحو بعد اكتمال نزول القرآن بما يقرب من عشرين عامًا.

أشهر من قام بتصنيف كامل لعلم النحو هو سيبويه، حيث وضع كتابه المسمى "الكتاب".

كيف تم وضع قواعد النحو؟ (ابن خلدون، 1858؛ عوض، 2000)

كمثال:وجدوا أن العرب يقومون برفع جمع المذكر السالم بالواو مثل (المؤمنون) فتم وضع القاعدة أن جمع المذكر السالم علامة رفعه الواو.

وتم استخراج واستنباط هذه القواعد من القرآن الكريم و الشعر بعد الإسلام وقبل الإسلام، وقد قام علماء النحو بالاستدلال على صحة أي قاعدة نحوية استنبطوها عن طريق ذكر ورودها في أي قراءة متواترة من قراءات القرآن،أي أن القرآن . عند النحاة . هو الحاكم على صحة القاعدة النحوية، والقاعدة النحوية عندما تجد شاهداً على صحتها في أي من قراءات القرآن المتواترة يتم الحكم بصحتها. لذلك فللقرآن هو الحاكم على النحو وليس العكس.

وقد اتفقت جميع القبائل العربية في كثير من الألفاظ والقواعد،واختلفوا فيما بينهم في عدد يسير من الألفاظ والتراكيب اللغوية، وعندما تم وضع قواعد اللغة العربية، تم وضعها على الغالب والأعم، مع الإبقاء على ما ندر من قواعد لتكون حالات خاصة من ضمن قواعد النحو الصحيحة؛ وذلك نظراً لاشتهارها عند بعض القبائل وعدم إنكار الآخرين لها.

والقواعد المتعلقة بالحالات الخاصة أو القواعد نادرة الاستخدام لا يتم تدريسها للمبتدئين في مراحل الدراسة الأولية للغة العربية.

فأن يقوم غير المسلم بمحاكمة القرآن الكريم حسب ما عرفه من قواعد في كتاب المبتدئين في النحو ويقول: اكتشفت خطأ!، فهذا خبل ناتج عن الجهل بنشأة علم النحو، وبكيفية تدوين العلماء للقواعد النحوية.

طريقة استخراجهم للشبهات:

قام المستشرقون باستخراج الشبهات التي أطلقوا عليها الأخطاء النحوية في القرآن، بالبحث في كتب التفسير عما ذكره المفسرون من آيات أو كلمات لا تتبع القواعد العامة للغة، أو تتبع قواعد لم تنل حظها من الشهرة، وما أثير حولها من أقاويل، والرد على هذه الأقاويل، فوجد المفسرون غايتهم واقتطعوا الشبهة وتركوا الرد

عليها، واستمروا في ترديد الشبهات المماثلة هم ومن اتبعهم.

فلا يظن عاقل أن المستشرقين الأعاجم قاموا بإعراب القرآن الكريم كله ووجدوا فيه أخطاء لم يجدها أي من العرب القراء والمفسرين، بل إنه بعد أن سطر المسلمون علومهم اللغوية،والنحوية في كتبهم، راصدين كل الظواهر بأمانة ونقد، أتى المستشرقون واقتطعوا من كلامهم ما ظنوه يخدمهم للتشكيك في الدين (للرد على أي شبهة من هذه النوعية ينصح بالرجوع إلى تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، أو الرجوع إلى أي كتاب لإعراب القرآن الكريم مثل "مُشكِل إعراب القرآن" إعداد: أحمد بن محمد الخراط، أو الرجوع لكتاب سيبويه "الكتا").

اختلافات اللغة والقواعد النحوية بين القبائل العربية:

اختلفت القبائل العربية فيما بينهم في عدد يسير من الألفاظ والقواعد النحوية ، نذكر منها أمثلة جاءت في كتاب "الصاحبي (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى: 395هـ) في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها":

الاختلاف فِي إبدال الحروف نحو: "أولئك" و "أُولالِكَ".

ومنه: الاختلاف فِي التقديم والتأخير نحو "صاعقة" و "صاقعة".

ومنها: الاختلاف فِي الحذف والإثبات نحو "استحيَيْت" و "استحْيت".

ومنها: الاختلاف فِي التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول "هَذِهِ البقر" ومنهم من يقول "هَذَا البقر".

ومنها: الاختلاف فِي الإدغام نحو "مهتدون" و "مُهَدُّون".

ومنها: الاختلاف فِي الإعراب نحو "مَا زيدٌ قائماً" و "مَا زيدٌ قائم" و "إنّ هذين" و "إنّ هذان" وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح مَا قبلها ذَلِكَ. وينشدون:

تزوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أذناه ضربةً... دَعَتْه إِلَى هابي التراب عقيمِ.

وهناك من اللغات ما هو نادر ومذموم، لكنه لا يزال من لغة العرب مثل ما جاء تحت اسم، اللغات المذمومة:

العَنْعَنة الَّتِي تُذكِر عن تَميم – فقلبهم الهمزة فِي بعض كلامهم عيناً. يقولون: "سمعتُ عَنَّ فلاناً قال كذا" يريدون "أَنَّ فلاناً قال كذا".

وهذه لُغة تميم. قال ذو الرمّة:

أَعَنْ ترسَّمت من خَرقاء مَنْزِلةً... ماءُ الصَّبابة من عَيْنيك مَسْجُومُ أراد "أأن" فجعل مكان الهمزة عيناً.

وأما الكَشْكَشة الَّتِي فِي أسَد – يبدلون الكاف شيناً فيقولون: "عَلَيْشَ" بمعني "عَلَيْكَ".

أو يَصِلون بالكاف شيناً، فيقولون: "عَلَيكِش". بمعنى "عليك".

وهذه نجدها في بعض المناطق في الخليج العربي "الكويت خاصة"، حيث ينهون الكلمة بحرف الشين.

هذا بالإضافة إلى احتواء اللغة العربية على قواعد نحوية غير معروفة أو نادرة الاستخدام مثل:

(نصب الفاعل لاختصاص المدح أو الذم)، فالفاعل مرفوع في كتب النحو للمبتدئين، ولا يوجد بها أن الفاعل يتم نصبه لاختصاص المدح أو الذم.

وعن قول الله تعالى: "لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً "(النساء: 162)، ادعى بعض الجهلاء أن القرآن أخطأ ونصب الفاعل فقال: (المقيمين) وكان يجب أن يقول (المقيمون)!.

ولم يعلموا أن هذه قاعدة معروفة، بوب لها سيبويه باسم: باب ما ينتصب على التعظيم والمدح،وقدم لذلك عدة أمثلة من أقوال الشعراء فقال: ونظير هذا النصب من الشعر قول الخِرنِق:

لا يبعَدَنْ قومي الذي همُ... سمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ

النازلين بكل مُعترَكٍ... والطيبون معاقدَ الأزر

فرفعُ الطيبين كرفع المؤتين (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 1/ 6).

حوار مع أ.د. شعبان صلاح إبراهيم [1]حول القرآن الكريم واللغة العربية، والشبهات حول وجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم والرد عليها:

ـ ما أهمية القرآن الكريم في اللغة العربية؟

شعبان صلاح : القرآن الكريم دستور اللغة العربية كما هو دستور الشريعة الإسلامية ؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين، والقرآن الكريم الله – عزوجل – بحفظه "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** " (الحجر/9) وهو الذي حفظ اللغة العربية على مدار أربعة عشر قرنا أو يزيد من أن تمتد إليها يد التغيير، مثلا لو نظرنا إلى اللغة اللاتينية التي تشعبت إلى عدد كبير من اللغات، كل هذه اللغات كانت تأتي من اللغة اللاتينية؛ لأنه لا يوجد حاكم يحكم هذه اللهجات التي نمت وازدهرت وأصبحت لغات مختلفة، ووجود القرآن الكريم وحفظه في الصدور وتلقيه الشفهي هو الذي حفظ للغة أصواتها وصرفها ونحوها منذ كان تقعيد اللغة العربية حتى يومنا هذا، والعاميات تظل عامية لم تُرْقَ إلى أن تصل إلى درجة الفصحى التي تتعامل بها كل الدول العربية الناطقة بالعربية بل ويُحسن التعامل بها الذين يعرفون

اللغة العربية من غير العرب نظرا لوجود حاكم ودستور يمكن أن يرجع إليه من يرجع، والقرآن الكريم أيضا يُثمر إثمارا جيدا في النشء فالناشئة الذين يتعلمون أو يحفظون القرآن الكريم في صغرهم يَنْمُونَ أصحاب سليقة في النطق فدرجة نطق الأصوات وإحسانها وأداؤها يأخذونه من هذا النص المعجز ويتميز حافظ القرآن الكريم بنطقه عمن لم يحفظ القرآن الكريم...

ـ ونحن الآن في تركيا لا نفهم لغتنا التي كانت موجودة قبل مائة سنة؛ لأنه ليس لها حافظ مثل اللغة العربية التي يحافظ عليها القرآن الكريم...

شعبان صلاح: ليس في تركيا وإنما في كل العالم، الأصل في اللغات أنها تحيا وتموت، هذا الكلام غير منطبق على اللغة العربية الفصحى، وهي تتطور. نعم، تتطور في المفردات وتتطور في الدلالات...

ـ هذه من طبيعة اللغة...

شعبان صلاح : الدلالات هي التي تتغير، هناك زيادة الدلالة هناك النقص في الدلالة هناك امحاء (موت) الدلالة ونشوء دلالة أخرى لكن المفردة هي المفردة وابن القرن الخامس عشر الآن يستطيع أن يقرأ نصا من القرن الأول ويحسن التأتي إليه ويفهمه فهما جيدا...

ـ وهل هذه تعد من معجزات القرآن؟ لأنه أعجز جميع اللغات في هذه الناحية...

شعبان صلاح: القرآن الكريم معجز بنصه ومعجز بلفظه والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى أرباب الفصاحة الذين نزل بلغتهم

([1]) شعبان صلاح إبراهيم حسين – أستاذ النحو والصرف في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية.

عن أن يأتوا بعشر سور أو بسورة أو حتى آية "**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** "(البقرة/23 . 24) لكن قضية الإعجاز في أنه حفظ اللغة هذه هي التي يحكم عليها مستعمل اللغة، لكن لا يوجد نص في أن إعجاز القرآن يحفظ اللغة العربية، وإنما القرآن معجز بنصه بنفسه، كل من يقرأه يكتشف فيه إعجازا...

ـ ما معنى كلمة "قرآنا عربيا" بالضبط؟ هل هذا يعني أنه لا توجد كلمات دخيلة أو معربة أو أجنبية في القرآن؟

شعبان صلاح: لا، توجد بالتأكيد واعترف بها العرب، لكنّ هناك فرقا بين أن تدخل لفظة من لغة أخرى إلى لغتي فأستعملها وتصبح من مفرداتي، فإذا صارت من مفرداتي فمعنى ذلك أنها صارت من لغتي كما نستعمل نحن الآن مفردات العصر الحديث، بعض الكلمات دخلت إلى لغتنا من أسماء المخترعات المحدثة التي لم تكن موجودة في العربية وأصبحنا نستعملها الآن كما نستعمل العربية، إذا جاء شخص ليؤرخ لغة المصريين في بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي فماذا هو قائل؟ سيقول هذه المفردة من مفردات المصريين، ولن يقول إنها مفردة أجنبية دخلت لغة المصريين، يعني يتعامل مع الموجود، وليس مع المفترض، ومع ذلك فعدد الكلمات ـ التي قيل إنها معربة، معناها أنها طبق عليها ما طبق على المفردات العربية ـ عدد محدود، وهذا معناه أن هذه الكلمات كانت تستعمل في وقت نزول القرآن على ألسنة العرب، هذا أمر معترف به وكتب فيه العلماء كثيرا وعدوا الألفاظ الموجودة في القرآن منها، لكنها محددة جدا...

ـ هل إعجاز القرآن من الناحية البلاغية فحسب أم له وجه نحوي في الإعجاز أيضا؟

شعبان صلاح : القرآن الكريم معجز ببلاغتة ومعجز بتركيبه ومعجز بمفرداته، لعل الذي استطاع أن يجسم هذا المعنى هو عبدالقاهر الجرجاني، حينما تحدث عن نظرية النظم، والقرآن معجز بنظمه والنظم نحو، وضع الكلمة موضعها المناسب أو تأخيرها أو تقديمها أو استخدام هذا الحرف بدلا من هذا الحرف أو تقديم المفعول على الفاعل في موقعه وتقديم الفاعل على المفعول في موقعه وتقديم المفعول على كل من الفعل والفاعل في موقع آخر وتقديم الخبر وحذف الفعل : "**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...**" (لقمان/ 25) وفي آية أخرى "**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** " (الزخرف/9) مرة يجيب بالجملة الفعلية كاملة ومرة يجيب بالفاعل محذوفا منه الفعل، ما السر هنا في حذف الفعل والسر هنا في ترك الفعل؟، كل هذه تناولها علماء اللغة مع علماء البلاغة، وعلم المعاني ـ الذي هو قسم من أقسام البلاغة التي هي المعاني والبيان والبديع ـ نحو من النحو، لأنهم في هذا العلم يدرسون التقديم والتأخير والذكر والحذف والفصل والوصل، وكل هذه القضايا في لبها قضايا نحوية في الأساس. علوم العربية كلها مكملة بعضها البعض والذي فصلها هو الفصل الدراسي التخصصي، يعني مثلا كلية مثل كليتنا هذه دار العلوم تدرس النحو والصرف والعروض والقافية والبلاغة والنصوص والأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن ومع علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، لماذا؟ لأن كل هذه العلوم عبارة عن ريش في جناح طائر واحد وهو الثقافة العربية، فلا يمكن لبلاغي أن يسمو ولا يدرك النحو ولا يمكن لنحوي أن يجيد وهو لا

يعرف البلاغة، وإذا لم يكن الإنسان مطلعا على النصوص الأدبية قديمها وحديثها فإن لغته تكون ركيكة بعيدة عن الإبداع، حتى عالم الشريعة إن لم يُجِد المواقع النحوية فإنه لا يجيد الإفتاء في بعض المواقف التي يتعرض لها...

ـ أحد علماء التفسير اسمه محمد حمدي يازير صاحب تفسير القرآن الكريم يقول: لا يمكن لأحد أن يفسر القرآن الكريم إلا أن يتمكن من قراءته أي القرآن دون أن يكون القرآن مشكولا، أي يقصد بهاذه الكلمة أنه لا بد أن يتقن النحو والصرف مع العلوم الدينية الأخرى، والسؤال: ما هي العلاقة بين النحو و التفسير وما فائدة النحو في تفسير القرآن؟

شعبان صلاح: العلاقة بين النحو والتفسير علاقة كبرى، لأن التفسير هو بيان مدلول الآيات وما تومئ إليه وما تريغ إليه، ولا يستطيع الإنسان أن يقدم مدلول آية إلا إذا عرف موقع كلماتها ووظائفها النحوية ونظمها النحوي خاصة الآيات المتشابهات، الآيات المتشابهات في القرآن إن لم يستطع الإنسان أن يحسن قراءتها وأن يقف حيث ينبغي أن يوقف فإنه لا يستطيع أن يؤدي معناها المطلوب فالتفسير مبني في أساسه على القراءة السليمة للقرآن الكريم بل والوعي بقراءات القرآن الكريم، ليست القراءة واحدة وإنما القراءات المتعددة، مثلا "هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّه..." وقف "...وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ..." (آل عمران/ 7) أو "... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..." إذن الوقوف عند "... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ.." والبدء ب"وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ..." هنا دلالة، "... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..." معناها أن

الله سبحانه وتعالى قد اعطى بعض التأويل لبعض الراسخين في العلم، أنا أقصد هنا أنا لا أستطيع أن أقرأ هذا بدون تَلَقٍّ يعني إذا لم يكن هناك من يدلني من القراء بالتلقي على موضع الوقف فإني لا أستطيع أن أتجاوز موضع الوقف، وأنا أستطيع الآن من خلال النص المصحفي أن أعرف إذا كان الوقف هنا جائزا أو واجبا لأن علماء الضبط وضعوا علامات للوقف الجائز والوقف الواجب، هذه الآية من سورة آل عمران في آياتها الأولى ونرى أن الوقف على لفظ الجلالة هو وقف لازم (م) لابد من الوقف، ويبدأ ب "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ..." فلابد من الوقوف على لفظ الجلالة فلا أحد يعلم التفسير الحقيقي للقرآن إلا الله، هذه العلامات أو علامات الوقف والابتداء في القرآن الكريم مهمة جدا للمفسر لكي يفسر القرآن...

- يعنى القراءة والمعنى؟

شعبان صلاح : القراءة والمعنى، و القراءة والمعنى لازمة جدا للمفسر لكي يؤدي الأداء الجيد، وطبعا القراءة بمفهومها الأوسع، أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه، نحن في مصر عامة، الشعب يقرأ بقراءة حفص عن عاصم...

- ونحن في تركيا أيضا...

شعبان صلاح : لكني أعرف أو المعلومة التي عندي أن المغرب مثلا يقرؤن قراءة ورش، فإذن تكون القراءة المشهورة عندهم هي قراءة ورش، وكلها قراءات متواترة وثابتة ومنقولة بالنص كابرا عن كابر عن الرسول صلى الله عليه وسلم...

ـ ما رأي المسلمين وغير المسلمين في لغة القرآن الكريم في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –؟

شعبان صلاح: السؤال مجمل ولا يمكن أن نجيب عليه إجابة مجملة، فلا نستطيع أن نقول رأي المسلمين وغير المسلمين في لغة القرآن في عهد الرسول. يعني المسلمون مؤمنون بما ورد على أنه هكذا، ويبحثون عن تفسيره، ونحاتهم لم يقصروا في بيان الأوجه التي يمكن أن يخرج عليها، والقرآن لم يخرج عن اللغة العربية، أما غير المسلمين فمنهم المنصف وهم قليل ، ومنهم غير المنصف الذي يحاول الاصطياد في الماء العكر كما يقولون فلا يعرف ماذا يصطاد، يعني حينما ترد الأية القرآنية في آخر سورة النساء "**لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمً** ا" (النساء/162)، فيكون "الرَّاسِخُونَ"، "وَالْمُؤْمِنُونَ" ثم "وَالْمُقِيمِينَ" وبعدها "وَالْمُؤْتُونَ". الذي يأخذ الأمور على ظواهرها ويريد أن يطعن يقول إن هنا خطأ فعطف منصوب على مرفوعين وبعد المنصوب مرفوع، النحاة نظروا لهذه الأمور في ضوء اللغة التي نزل بها القرآن، وخرنق بنت هفان حين قالت:

لا يبعَدَنْ قومي الذي همُ... سمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ

النازلين بكل مُعترَكٍ... والطيبون معاقدَ الأزر

"هم سمّ العداة"، المفروض "والطيبون"، "والنازلون" بسبب العطف فلماذا نصبت؟ مع أن هناك روايتين، هنا شيء موجود في اللغة في التوابع يقال له "قطع التابع عن المتبوع لغرض معنوي"، أنت حين تسير في طريق ممهد مسلوك تسير فيه وأنت شبه مطمئن، مادام الطريق سلكا ومادامت

ساقك على دواسة البنزين ويدك على عجلة القيادة فأنت آمن ما دمت منتبها، لكنك حين تعرف أن في هذا الطريق عقبة أو شيئا ينبغي أن تكون على حذر منه فإنك طول الطريق تكون في غاية الانتباه خشية أن تكون هذه العقبة على مبعدة كيلومتر، كيلومترين، ثلاثة كيلومترات، "قطع التابع عن المتبوع" هذا مقصود به إثارة الانتباه وإخراج المتكلم أو إخراج القارئ أو المستمع من سلاسة التركيز إلى نوع من التوفز والاستعداد لتلقي الخبر، فـ"الراسخون في العلم" و"المؤمنون" و"المؤتون" كل مرفوع، لماذا "الْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ" منصوب؟ قالوا إنه منصوب على الاختصاص، يفسر ذلك الحديث النبوي "الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين". فنصب "المقيمين" هنا لمزيد من العناية، لكي ينتبه القارئ أو المستمع إلى أن هنا شيئا مخالفا لما سبق في الاهتمام...

ـ هذا في المعنى وله دليل لغوي أيضا، سأسأل سؤالا مرتبطا بهذه المسألة: ألف رفيق الحق و P. Newton مقالة باسم " The Qur'an: Grammatical Errors" يعني "القرآن: الأخطاء النحوية"، وهما يدعيان أن في القرآن الكريم أخطاء نحوية. فما رأيكم في هذا الموضوع؟

شعبان صلاح: أظنني أجبت عليه فيما سبق، قلت زاوية الرؤية تختلف من شخص إلى شخص ومن طلب عيبا وجده، ما دمت أضع على عينيّ نظارة سوداء فطبيعي أن أرى الأشخاص والأشياء في حالة السواد، وإذا كانت النظارة بيضاء فكل الأشياء أمامي تكون في حالة بياض. هم يلبسون نظارة سوداء، هم يدخلون إلى النص القرآني برغبة الطعن فيه، أنا أتيت لك شاهد شعري، فهل الشاعر القديم حين قال ما قال كان يقصد تعضيض القرآن فيما ورد به، نحن الآن بدأنا وقلنا بلسان عربي مبين هذا هو لسان

العرب، اللسان العربي، يعني:

ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعال

"نسوة عطل" مجرور، "شعثا" عطف على المجرور منصوبا، هذا في اللغة، في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، يعني . ولله المثل الأعلى . إنما نحن نحاول أن نمثل لهم بلغة العرب التي نزل القرآن بلسانهم، التوابع يمكن أن تقطع، إذا عرف المتبوع بصفاته جاز قطع التابع لغرض معنوي، "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" (المسد/ 1.3) توجد قراءة "حَمَّالَةُ الْحَطَبِ" هذه على السائد لا أحد يقف أمامها ولكن "وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" هي التي تثير الانتباه وإثارة الانتباه هنا معناها أني سألعنها إذن لعنها مطلب معنوي من وراء النصب ؛ لأن النصب هنا على فعل محذوف تقديره "أذم حمالة الحطب"، يعني ينبغي أن نفرق تماما بين الذي يتناول النص القرآني مؤمنا بوروده عن الله – سبحانه وتعالى – وبين من يتعامل معه على أنه نص لغوي، الذي يتعامل معه على أنه نص لغوي يمكن أن يقع في الأخطاء...

ـ يقع في الأخطاء أم لا يراها؟

شعبان صلاح: لا، يقع فيها، يعني لا يرى إلا الخطأ لأنه يذهب إلى الدراسة بغية الوصول إلى خطأ يطعن بسببه في القرآن الكريم، أما الذي يتناوله بنظرة متزنة سواء أكان من المسلمين أم من غير المسلمين فإنه يستطيع أن يجد قياسا لغويا واردا في اللغة العربية عند شعراء العرب وفي نثرهم...

ـ هل كانت هذه المناقشات التي تدور حول القرآن موجودة في الأيام الأولى أو في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –؟

شعبان صلاح : لا، في الأيام الأولى للقرآن كان الناس إما مسلمين

مُسَلِّمِين وإما معاندين مكابرين كافرين، والكافر كان يصرف أذنه ونظره عن القرآن وكانوا يتناصحون ألّا يسمعوه ؛ لأنهم إن سمعوه وهم أرباب فصاحة وبلاغة آمنوا به، وقصة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه – وقصة إسلامه مشهورة، إنه ذهب إلى زوج شقيقته فسمع القرآن فأسلم...

ـ ما أهمية القرآن في تعلم النحو وما أهمية النحو في تعلم القرآن؟

شعبان صلاح : أما أهمية القرآن في تعلم النحو فهي الأساس، ليس للقرآن أثر مباشر في تعلم النحو بمعنى قواعد اللغة، وإنما له أثر مباشر في تعلم اللغة، بمعنى إتقان أداء الأصوات وإتقان نطق المفردات والتزود بزاد لغوي من النص الراقي البليغ، أما الأثر المباشر في النحو فلا، و أما دور النحو في فهم القرآن فهذا دور الفحص والتدقيق يعني من يعرف النحو وقواعده يستطيع أن يقرأ النص القرآني قراءة متأنية واعية بمعنى أنه يستطيع أن يبين لماذا رفع هذا ولماذا نصب ذاك، ويفسر بناء على ذلك، لا يوجد مفسر غير متقن للنحو...

ـ وما دور النحو في تعلم القرآن الكريم؟

شعبان صلاح: تعلم القرآن الكريم ليس مبنيا على النحو، القرآن تلق شفوي، وجلُّ من حفظ القرآن من صغار أبناء المسلمين...

ـ إما عربي أو غير عربي؟

شعبان صلاح : عربي أو غير عربي لا يعرف النحو، بل إن معلمي القرآن في القرى والمدن ليسوا من متقني النحو، لكنهم متقنون للقرآن، القرآن لا يتعلم بالنحو وإنما يتعلم بالتلقي الشفوي، لا يؤخذ القرآن من مصحف، يعني الذي يحفظ القرآن من المصحف غير الذي يحفظ القرآن بالتلقي حتى لو كان قارئا متقنا مدققا ؛لأن طرق أداء التفخيم والترقيق وطرق الأداء شفوية، القرآن متلقًّى شفهيا منذ عهد الرسول — صلى الله

عليه وسلم – حتى عصرنا الحاضر، قد تستطيع أن تحفظ القرآن من المصحف إن كنت متقنا للعلامات الإعرابية، ولكنك لن تؤديه الأداء الأمثل إلا إذا جلست إلى شيخ يَسْمَعُك وتقرأ عليه...

ـ وما أحوال الأعمال الآكادمية حول النحو والقرآن؟

شعبان صلاح: كثيرة، يعني يكفي أن أذهب بعيدا، أمامي الآن رسالة من الجامعة الإسلامية في إسلام آباد في باكستان بعنوان "الاحتجاج للقراءات القرآنية ـ دراسة تحليلية ـ" وهي دراسة في أكثر من ثمانمائة صفحة لطالب غير عربي، وهي آتية إليّ لبيان مدى صلاحيتها للمناقشة وهي سفر ضخم بذل فيه الطالب غير العربي مجهودا موثقا في رصد القراءة القرآنية وتحليلها، وأنا شخصيا درست في مرحلة الدكتوراه كما قلت لك "مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، وهناك موضوعات كثيرة جدا، كل قارئ من القراء دُرِست قراءته، إما في دار العلوم وإما في جامعات أخرى، محاولة للدراسة النحوية والصرفية والدلالية، الدراسات حول القرآن أكثر من أن تحصى، وأمامي رسالة الآن ربما ستقبل للتسجيل في قسم النحو "الظواهر المشتركة بين القرا ءات والضرائر الشعرية ـ دراسة نحوية تحليلية موازنة". هذا موضوع من الموضوعات، وإن كان هذا موضوعا قد سبق تناولُه ؛لأنه ما من إنسان تعرض للضرورة الشعرية إلا وحاول أن ينفي كونها ضرورة بأنها موجودة في القرا ءات وما وجد في القراءات لا يصح أن يقال إنه ضرورة شعرية...

ـ وفي ماذا تركز هذه الأعمال النحوية القرآنية خاصة؟

شعبان صلاح : الأعمال النحوية القرآنية إما أن تتناول أسلوبا من الأساليب في القرآن كأسلوب القسم وأسلوب التوكيد وأسلوب الاستثناء

وتحاول أن تبين الأنماط الموجودة في القرآن الكريم وتوازن بينها وبين كتب النحاة لتثبت ما الذي وجد في القرآن من هذه الأساليب وما الذي لم يوجد، المعترف به أن القرآن الكريم ليس كتاب قواعد، إنما هو كتاب شريعة، وكونه نزل بلسان عربي مبين لا يعني أنه حوى كل الأساليب الموجودة في العربية، فبعض الأساليب العربية الموجودة في النصوص الأخرى ليست موجودة في القرآن الكريم، فالذي يدرس ويحاول أن يبين "ما الأسلوب الموجود في القرآن وهو موجود في العربية" و "ما الذي يوجد في العربية وليس موجودا في القرآن" و "ما الذي يوجد في القرآن وربما لم يستعمل في العربية" فمثلا "وَلَمَّا سُقِطَ فِيَ أَيْدِيهِمْ..."(الأعراف/ 149) هذا استعمال قرآني، "سقط في يده" بمعنى: احتار، يعنى:"لا يستطيع أن يفعل شيئا"، هناك إجماع على أنه أسلوب قرآني بدأ في القرآن ولم يكن له وجود في العربية...

الخـــلاصة:

إن علم النحو تم استخراج قواعده من القرآن الكريم، ومن الشعر العربي قبل وبعد الإسلام؛ لذلك من الجهل أن يأتي بعد ألف وأربعمائة عام من يقول إن القرآن مخالف لعلم النحو ؛ وهذا ما توصل إليه البحث من خلال استعراضه للشبهات التي أثيرت حول وجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم، والرد عليها بما يدحضها ويمحو حجتها ويثبت أن القرآن الكريم، منذ أن نزل به جبريل من عند رب العالمين على رسولنا الأمين – صلى الله عليه وسلم – لم ولن تمتد إليه يد التحريف والتصحيف، مهما تطاول عليه الملحدون، أو هاجمه المغرضون ؛ لأن الذي تكفل بحفظه هو القوي المتين قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (سورة الحجر – 9)!.

المصادر والمراجع

ابن خلدون (1858)، الممقدمة، تحقيق: كاثرمير، باريس، مكتبة لبنان.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (1910)، *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، القاهرة، المكتبة السلفية.

بدوي، عبدالرحمن (بغير تاريخ)، *دفاع عن القرآن ضد منتقديه*، ترجمة/كمال جادالله، الدار العالمية للكتب والنشر.

عوض، إبراهيم (2000)، *القرآن والحديث . مقارنة أسلوبية* . القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.